مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد العشرون، العدد الثاني، ص163– ص193 يونيو 2012
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

"الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله"

د. فيصل حسين طحيمر غوادرة

أستاذ مشارك في جامعة القدس المفتوحة - جنين

ملخص: تناولت في هذا الموضوع حياة عبد القادر الحسيني وأدبه وجهاده، منذ ولادته في القدس نحو عام 1910م، إلى وفاته عام 1948م، وما حدث بين الولادة والوفاة، كانت مسيرة نضال وجهاد للشهيد انتهت بنيله الشهادة، فقد تحدثت عن الواقع الذي عاشه واستشرافه للمستقبل، من خلال ما سطره في شعره وترسله، وذلك تحت عنوانين: أولهما: في شعر عبد القادر الحسيني، وثانيهما: في ترسل عبد القادر الحسيني، وقد استعرضت الواقع المعاش فيهما، كما تناولت الرؤى الاستشرافية لمستقبل الجهاد عند الشاعر، ولمستقبل فلسطين من خلال العنوانين نفسيهما. وحرصت على ذكر شعره ورسائله ذات العلاقة بالموضوع، وقد أظهر البحث أن الشاعر قد سجل في أدبه الواقع الفلسطيني الذي عاشه تسجيلاً موضوعياً، وتحدث عن المراحل الحقيقية لحياته الجهادية، وما بثه في شعره وترسله من آلام وآمال، ومن حقائق وتطلعات حول القضية الفلسطينية، وواقع القدس ومستقبلها، وقد أثبتُّ على ذلك شواهد من شعره وترسله، بأسلوب أدبي تميز بالسهولة؛ لأن الشهيد عبد القادر الحسيني أراد أن يتلقى أدبه كل إنسان عربي ومسلم، ويفهم ما يقول ويرمي إليه، بأسلوب أدبي سهل وممتع.

Reality and Approach Future in Abdel Kader Husseini's Poetry and letters

Abstract: this paper addressed the life of literature and struggle of Abdel Kader Husseini since his birth in Jerusalem around 1910 to his martyrdom in 1948. It listed what happened between birth and death, the march of struggle and jihad of the martyr. The paper covered two headings: first: Poetry of Abdel Kader Husseini, second: letters of Abdel Kader Husseini. It has reviewed the reality he lived in his works, and addressed the forward-looking vision of the future of Jihad for the poet, and the future of Palestine under the two same headings. I was keen to mention his relevant poetry and letters. These have demonstrated that the poet had objectively recorded in his works the Palestinian reality he lived, and talked about the stages of his real jihad and broadcasted in his poetry the pain, hopes, realities and aspirations of the Palestinian issue and the reality and future of Jerusalem. This was evidenced in his poetry and letters in an easily distinguished literary style. The martyr Abdul-Qader Al-Husseini wanted to send his works to all Arab and Muslim people.

د . فيصل غوادرة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الإسلام والجهاد، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد:

جاء اليهود المغتصبون إلى فلسطين، ومنذ أن حلّوا بها والنكبات والمصائب والويلات تلاحق شعبها المنكوب، فظهر منهم المناضلون والمقاتلون والمجاهدون، وكان من أبرزهم لفترة ما قبل النكبة، الشهيد عبد القادر الحسيني، ذلك الشهيد الذي لقي ربه مجاهداً وشهيداً وهو ما زال في ريعان شبابه، ليسطر لنا من حياته نموذجاً فريداً للجهاد والتضحية.

ولربط القول بالعمل، فقد كان للشهيد شعر جاشت به شاعريته، وله رسائل خطها قلمه، وكان أدبه هذا ترجمة حقيقية عن واقعه المعاش، ونظراً لقلة شعره ورسائله، وللمكانة التي وصل إليها الشهيد بين المجاهدين على ثرى فلسطين؛ أحببت أن أُعرِّف القارئ العزيز بأدب هذا الشاعر الشهيد، فكتبت عنه من زاوية " الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله" وهو عنوان هذا البحث، وقد تحدثت بعد التمهيد عن أدب الشاعر من خلال عنوانين، حمل الأول شعر الشاعر عبد القادر الحسيني، وحمل الثاني ترسل الشاعر عبد القادر الحسيني، ورغم قلة ما كتب هذا الشاعر الشهيد والأديب المترسل، إلا أن أدبه يحمل في طياته الكثير من المعاني؛ لأن الشهيد عندما كان يكتب شعراً، أو رسالة، فقد كان يسجل واقعاً يعيشه نضاله وجهاده بشكل يومي، فشعره وترسله حملا لنا واقع هذا الشهيد وحقيقته وحياته، وكان من خلال هذا الواقع ينظر إلى المستقبل بعين ملؤها الأمل بالنصر والتحرير لفلسطين، وكان يأمل أن يتحول مستقبل الجهاد فيها إلى جهاد منظم، يصاحبه الدعم العربي والإسلامي؛ حتى يندحر المحتل الغاصب، وتتحرر القدس وسائر فلسطين.

وقد كانت هذه النظرات تصدر عن إنسان مؤمن بدينه ووطنه وقضيته، ولأنه كان يحمل مشاعر صادقة نحو وطنه وشعبه، حقق الله له ما سعى من أجله؛ بأن كتب الله له الشهادة على ثرى فلسطين الطهور على أبواب القسطل في 8 نيسان/1948م.

ونظراً لندرة الدراسات التي تناولت أدبه شعراً وترسلاً – بل ربما عدمها- فقد جاء بحثي هذا، لعله يسد ثغرة كان يجب أن تسد منذ زمن، ولعله كذلك يفتح الباب نحو مزيد من الدراسات حول أدب هذا الشاعر المجاهد الشهيد.

التمهيد:

حياته وجهاده:

ولد "عبد القادر بن (موسى كاظم) بن سليم الحسيني في القدس عام 1910م" (1، ص: 135)، وإن ذكر الزركلي بأن ولادته كانت عام 1908م (أنظر 3، ص: 48). مع العلم أن تاريخ ولادته في جواز سفره هو عام 1907 (أنظر1، ص: 470). تربى في بيت عز وصلاح وتقوى، في بيت من أعرق البيوتات العربية وأقدمها، وقد كان والده موسى كاظم باشا شيخ مجاهدي فلسطين، حيث شغل عدة مناصب في الدولة العثمانية، توفيت أمه "رقية بنت مصطفى هلال الحسيني" بعد عام من ولادته، فكفلته جدته لأمه "نزهة الحسيني" وأشرفت السيدة "ثليجة" على تربيته، وكان لحبه لها يناديها بالوالدة (أنظر 1، 135). تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الرشيدية بالقدس، ثم التحق بمدرسة المطران "بيشوب غوباط" الإنجليزية القائمة على جبل صهيون في القدس، وقد زاده جو هذه المدرسة التبشيرية الحقد على المستعمرين وكان يقول: لقد تعلمت في مدرسة صهيون، كيف أبغض الإنجليز، وبعد ثلاث سنوات قضاها في هذه المدرسة، التحق بكلية (روضة المعارف الوطنية) ليتلقى تعليمه الثانوي في هذه المدرسة، وكانت هذه المدرسة تعتبر مصدر التوجيه الوطني الصحيح للناشئة العربية، وكانت هذه المدرسة التي أسسها الحاج أمين الحسيني سنة 1922م تهدف إلى تخريج الشباب المؤمن المجاهد، ولتقف ضد المدارس الحكومية البريطانية التبشيرية، وكان المجلس الإسلامي الأعلى هو الذي يتعهد هذه الكلية، وكان من مديريها: السادة: نديم الملاح، وخير الدين الزركلي وسامي السراج وغيرهم. (أنظر نفسه، ص: 138)

وبعد شهادة الثانوية العامة (المترك)، التحق عبد القادر بالجامعة الأمريكية ببيروت، التي فصلته بعد سنة من دخوله لها بحجة أنه وطني متطرف، رحل بعدها إلى القاهرة ليلتحق فيها بالجامعة الأمريكية قسم الكيمياء وذلك في العام الدراسي 1930/1929م وكان له نشاط طلابي ووطني كبير أثناء دراسته الجامعية، وعندما نودي ليستلم الشهادة عند تخرجه في عام 1932م - حيث نال شهادة البكالوريا في العلوم-، في الحفل السنوي التقليدي للخريجين، والذي شهده كبار الأساتذة والوزراء والعلماء والباشوات مع ألوف من الطلبة والطالبات وعلى رأسها رئيس الجامعة (شارلز واطسون). وبعد أن تسلم شهادته من رئيس الجامعة استأذن من الحضور بإلقاء كلمة فسمح له، فألقى كلمة بين فيها خطر هذه الجامعة التبشيرية، وبأنها بؤرة فساد مقنعة بالعلم، وندد بالسياسة الأمريكية، ثم مزق

شهادته أمام الحفل الكبير، ورمى بنتفها أمام رئيس الجامعة وعمدائها قائلاً: هذه شهادتكم فخذوها فإني لفي غنى عنها، وإنه ليس مما يشرفني أن أحملها أو أن أنتسب إليها، أنا لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم الاستعماري التبشيري. عندها قوبل خطابه بعاصفة من التصفيق الحاد، واضطربت الجامعة وقررت سحب الشهادة منه، واتصلت بالصحف للتعتيم على الخبر، ثم وجه عبد القادر رسالة مركزة إلى كل الصحف في القاهرة ليروي ما حدث (أنظر نفسه، 139-144) : ومن بين ما وضحه في الرسالة: يقول شارلز واطسون في كتابه "حروب صليبية مسيحية" في مصر": إن للمسلمين طقساً دينياً هو أساس الإسلام، وهذا الطقس هو الحج، ويجب على كل مقتدر أن يؤديه، وهو عبارة عن الذهاب إلى الكعبة، حيث تقام طقوس دينية مخزية، وهذا المكان وكر لصوص، تؤتى به جميع أنواع المخازي الأخلاقية..." (أنظر نفسه). وعلى إثر ذلك اتصلت إدارة الجامعة بالإنجليز والأمريكان الذين طلبوا من الحكومة المصرية إخراجه من مصر، فرحل إلى فلسطين في تموز سنة 1932م.

شغل عبد القادر الحسيني بعد تخرجه عدة وظائف ومناصب، منها عمله محرراً في جريدة الجامعة الإسلامية بيافا، وفي سنة 1934 استلم وظيفة في إدارة تسوية الأراضي، وقد قبل بها من أجل العمل على وقف بيع الأراضي لليهود.

أما تاريخ عبد القادر النضالي فطويل ومتعدد، ولا يكاد القلم يلم بما قام به الشهيد، فمن المظاهرات، إلى إلقاء القنابل، إلى الاغتيالات، إلى نسف القطارات، إلى تكوين خلايا المجاهدين وتدريبهم، إلى الرحيل هنا وهناك، داخل الوطن وخارجه، من أجل جمع المال والسلاح، والحض على الجهاد في فلسطين، إلى كشف المؤامرات وما يحاك لشعب فلسطين. ومنذ اللحظة الأولى التي أعلن فيها الشرارة الثورية الأولى ليلة 1936/7/6، حتى استشهاده وهو يواصل الليل بالنهار، مجاهداً بطلاً، وقائداً شجاعاً. (انظر نفسه، ص: 171)

وكان عبد القادر الحسيني قد قاد المجاهدين في ثورة 1936- 1939، وكانت تلحق بها فرق الفدائيين، وفرق التدمير والقناصة والمغاوير. (انظر 4، ص: 90)

أما معاملة عبد القادر الحسيني للمتطوعين العرب، فقد كان يعاملهم معاملة الضيوف، ويكرمهم، ويمد لهم يد المساعدة؛ ليجاهدوا معه حسب الخطط المرسومة والمتفق عليها، وكان يرى أن أهل فلسطين أدرى من المتطوعين بالمواضع التي يجب أن تكون فيها قوات المجاهدين؛ ولذا عليهم أن يقبلوا

بالأماكن التي يحددها لهم إخوتهم في قيادة الجهاد المقدس، الذي يتزعمه عبد القادر الحسيني. (انظر 2، ص: 420)

لقد جرح عبد القادر سنة 1937 ونقل إلى دمشق إلى العلاج، ثم قصد بغداد فدخل الكلية الحربية متعلماً ومتمرناً، وعمل مدة قصيرة في الجيش العراقي، وأقام 18 شهراً في الحجاز، وفي النهاية استشهد على أبواب القسطل ليلاً عندما كان يحاصرها، وعندما انتصر أتباعه في اليوم التالي، وتمكنوا من رفع العلم العربي في القسطل في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم 8 نيسان 1948م. لم تكتمل فرحتهم؛ لأنهم وجدوا قائد الجهاد المقدس قد لبى نداء ربه شهيداً. (انظر 6، 426)، (3، 48)، (5، ص: 625).

أدب عبد القادر بين الواقع واستشراف المستقبل

أولاً: في شعر عبد القادر الحسيني:

قليل من يعرف أن الشهيد عبد القادر الحسيني كان أديباً أو شاعراً، ربما كان ذلك لقلة شعره التي تعزى إلى عدة أمور، منها: عدم امتلاكه زمام الوقت لنظم الشعر لانشغاله في الجهاد والمقاومة، والترحال والسفر، ومنها أنه نظم الكثير منه؛ فلم يصلنا لضياعه في زحمة التنقل والكفاح. ولكن رغم قلة ما وصل إلى أيدينا، فإنه يدلنا على أن الشهيد - رحمه الله – كان يملك مقدرة شاعرية، وشاعريته هذه امتزجت بسيل جارف من المشاعر الفياضة والمتنوعة، بسبب طبيعة الظروف التي يعيشها الشهيد، وتعيشها فلسطين، وما نتج عنها من الأوضاع الوطنية والجهادية والحربية ضد اليهود المحتلين الغاصبين لفلسطين عامة، ولقدسنا الشريف خاصة.

ونجد الشهيد ورغم ضيق وقته، وحالة الحرب والاستنفار المستمرة التي يحياها، فإننا نجده بين وقت وآخر يتحفنا بما تجود به قريحته وشاعريته، بقصيدة أو أكثر، على أننا نتلمس من خلال أشعاره تلون الأغراض الشعرية التي نظم فيها، وهو وإن كان في جل شعره يتحدث عن الجهاد ومقاومة الأعداء، إلا أننا نجد له في الغزل والمدح والرثاء والحنين والوصف.

والشهيد في شعره يتحدث عن واقع معيش له ولأسرته ولشعبه ولوطنه، وهو من خلال هذا الواقع نجده يستشرف بنظرات صائبة إلى المستقبل، ويحاول رسم الطريق لأبناء الجهاد على ثرى فلسطين الطاهر، وكأن شاعرنا يحاول أن يوصل رسالة للأجيال التي ستحمل راية الجهاد من بعده: بأن طريقكم صعب وطويل، ولكن عليكم أن تثبتوا وتقاتلوا بصبر وتضحية وأن يكون حمل السيف من

جيل مجاهد إلى جيل آخر حتى تتحرر فلسطين. فمثلاً نجده في قصيدة "ناوليني السيف" (1، 441) يقول:

حدثيني عن بلادي حدثيني خبريني ... وأسمعيني خبراً لا تكتميني حدثيني
كيف سادتها عداها حدثيني عن ... كيف داسوا في حماها بلادي حدثيني
حدثيني كيف خلّفْت رباها ... واصدقيني خبراً عما دهاها هل
مرتع الأسد وأجداث الجدود ناوليني ... غدت موطئ أقدام اليهود أمي ناوليني
السيف كم سمعنا منك أوصاف الطرّاد ... وروينا عنك أخبار الجها قد رضعناه
ما لغير المجد أمي قد رُبّينا ناوليني ... لبانا وروينا أمي ناوليني
السيف ... وبلادي قد غدت نهب الأعادي
كيف ألتذّ بنومي أو رقادي ... مذ دعاني هاتف صوب بلادي
شبت النيران واجتاحت فؤادي ... أمي ناوليني
ناوليني السيف ... ما عنى غيري ولكن قد عناني
هاتف المجد إلى الحرب دعاني ... وأنا الآن جدير بالقتال
إن لي زنداً شديداً كالجبال ... أمي ناوليني
ناوليني السيف ... ما خلقنا حشوة الثوب الحرير
ما خلقنا توأم الفرش الوثير ... والمعالي نهش أطراف العوالي
قد خلقنا وعنينا بالمعالي ... أمي ناوليني
ناوليني السيف

وعندما نمعن النظر في هذه القصيدة الجهادية التي يوجه الشاعر فيها خطابه إلى أمه، - التي توفيت وهو صغير السن كما أشرنا- وقد أراد من الخطاب كل أم فلسطينية، وحدد الأم بالذات؛ لأن الأم هي نبع التربية والتوجيه، ومن صنيع يديها تُنَشَّأ الأجيال المجاهدة، ولذلك، كأنه يقول: إن على كل أم فلسطينية أن تربي أبناءها على القتال والجهاد حاضراً ومستقبلاً، حتى تتحرر القدس وسائر الأرض الفلسطينية. ونجد الشاعر يملأ قصيدته بأفعال الأمر(حدثيني، أسمعيني، خبريني، ناوليني، اصدقيني...) مكرراً (حدثيني، وناوليني) عدة مرات في القصيدة، والتكرار كما بينه ابن الأثير بأنه "دلالة اللفظ على المعنى مرتّداً" (7، ص: 157)، وكأن اللفظ عنده يقدم خدمة جليلة لأداء المعنى

ولكن بصورة تكرارية، واختياره لصيغة الأمر، وهي طلب الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء والإلزام وصيغته افعل ولتفعل (أنظر 9، ص: 42)، (8، ج2، 81)، تظهر بأن الشاعر قد ركز في هذه القصيدة على هذه الصيغة مثل كلمة (حدثيني)؛ لتدل على طلبه الملح من محدثه أن يحدثه عن الماضي والأجداد والتراث لهذه الأرض المقدسة حيث يقول:

حـــــــــــدثيني عـــــــــــن بلادي حدثيني هل غدت موطئ أقــدام
مرتـــع الأســـد وأجـــداث الجـــدود اليهـــــــــــــــــــــــــود

وفيه دلالة عن الواقع الذي تعيشه القدس وفلسطين من خلال صيغة الأمر المقرونة بالسؤال فيقول:

خبريني كـــيف ســـادتها عـــــداها حدثيني كيف داسوا في حماها

أما عن المستقبل الجهادي نجده يدعو إلى حمل السلاح إلى أن تتحرر فلـــسطين وعاصـــمتها القـــدس الشريف، وهذا يتضح من خلال قول الشاعر:

هاتف المجد إلى الحرب دعاني ما عنى غيري ولكن قد عناني

ومن اللازمة المكررة في القصيدة قوله:

نـــاولـــيـــــنـــــي الســـــيـــــف أمـــــي نـــــاولـــــيـــــنـــي

وتكرار هذه اللازمة خمس مرات فيه دلالة استشرافية مستمرة لمستقبل الوضع القائم في القدس وفلسطين، بأنه لا طريق للتحرير أو الخلاص إلا بالسيف والجهاد والنضال؛ لأن المحتل لا يعرف غير لغة المقاومة والرصاص والقوة، وهذه اللازمة لها أهميتها ودلالتها، فقد بدأها بفعل الأمر وأنهاها به، والخطاب موجه إلى أمه الفلسطينية بحسبها أماً للكل الفلسطيني حتى إنهاء الاحتلال، وفعل الأمر كذلك فيه دلالة القوة والمقاومة المستمرة، أما تحديده لنوع السلاح بالسيف ففيه ربط وتناص تاريخي مع سلاح المجاهدين الأوائل، وفي هذا تواصل وترابط مع جهاد الأجداد والفاتحين.

وأجد الشاعر يكثر من أسلوب النفي للجملة الفعلية باستخدام أداة النفي (ما)، و(ما) نافية ولها صدر الكلام، وقد تدخل على الأسماء والأفعال (انظر 10، ص: 430) ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر: ما لغير المجد أمي قد ربينا، ما عنى غيري، ما خلقنا توأم الفرش الوثير، ما خلقنا حشوة الثوب الحرير، فالشاعر في أسلوب النفي هنا، ينظر بعين الواقع المعيش إلى المستقبل، فهو ينفي أن تكون حياته لغير المجد والجهاد والعلا، وبأن غيره هو المقصود عندما دعا هاتف المجد للعلا والجهاد، والمجاهد يرفض النوم الهانئ على الفراش الوثير الناعم، لأن مكانه في أرض المعركة والقتال.

وقد أكثر الشاعر من استخدام أسلوب الاستفهام، وهذا الأسلوب له حضوره في هذه القصيدة، فالاستفهام هو "استخبار، والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك" (13، ص: 108)؛ وهو أسلوب "يدمج المتلقي في النص، ولا يسمح له بالحياد، أو المراقبة فقط، بل إنه يشركه في تكوين المعنى" (12، ص: 136) وقد استخدم الشاعر أدوات الاستفهام: (كيف، ما، هل، كم)، وإن كان تركيز الشاعر على أداة الاستفهام (كيف) أكثر، فهو يسأل سؤال الحائر المتعجب: كيف استطاع اليهود المحتلين أن يسودوا على هذه البلاد ويدوسوا الأوطان؟، ثم يتساءل بطريقة الإنكار على نفسه، كيف له أن يلتذ بالنوم أو يستمتع بالسعادة ما دام المحتل موجوداً؟

بهذه المعاني السامية، والألفاظ المختارة، والأساليب المعبرة، سطر الشاعر قصيدته هذه، التي أفعمها بحقيقة مشاعره نحو وطنه.

ولنرتحل بعدها إلى قصيدة أخرى ابتدأ عنوانها بفعل أمر، يحمل دعوة الشاعر لابنته هيفاء أن تحفظ دموعها ولا تدعها تنسكب؛ لأن حياة الجهاد تتطلب الصبر على المعاناة، وتحمل الآلام في هذه الأرض المباركة، ونجده يقول في قصيدته هذه التي عنوانها: "صوني دموعك" (1، 442):

رقراق دمعك هز قلبي الباكي هيفاء لا ... كفّي البكا نفسي تراق فِداكِ هيفاء قد
تبكِ بحق أبُوتي صوني دموعك إنها ... هدّ البكاء أباكِ ذوب الفؤاد ذرفته
من مُهجتي إن عادني ترجاج صوتك ... ببكاكِ أشفقت أن لا أحتيي لأراكِ
باكياً يا أم هيفاء اصبري وتجلّدي ... الله والوطن العزيز عناكِ وغرقت بين
الناس تنعم بالرجال بعولة ما بين ... دمائها وشقاكِ عيشا وبين طريدة
آسية الجروح قضيته ما جئت بيتك ... لعداكِ دامي الجوانب أو معلل شاكي
غير منتجع شفا لا تعلمين أميّت ... أم فيه أنفاسٌ بهن رجاكِ من كل جرح
بدمائه أسمى وأثوب دمع عينك سائلاً ... في دمائه باكي ما نالها رجل القتال
قد نلت من شرف الجهاد مراتباً ... الشاكي وعلى النجوم يطول أفق
أعلاك صبرك فوق كل جليلة سيري ... سماكِ إلا ورب البيت منه حماكِ أنى
وربكِ لا يريد بنا أذى سيري فقلبي يا ... رحلتِ يطوفُ حولَ حماكِ والله يرعى
وجيهة سائر والله يعلم أن هجرتنا له ... ما حييتِ خطاكِ

الواقع واستشراف المستقبل في شعر عبد القادر الحسيني وترسله

نجد الشاعر في مطلع قصيدته هذه، تهتز لديه عاطفة الأبوة، وتجيش في قلبه مشاعر الرحمة والعطف، فهو أب كأي أب، وإن فرق الجهاد وقتال الأعداء بينه وبين أهله وذويه وأحبته، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون عنده مشاعر صادقة، وعاطفة رحيمة، فهي تصدر من قلب رجل مسلم مجاهد، سخر حياته للجهاد وطلب الشهادة. وبعد الأبيات الأربعة الأولى يبدأ عبد القادر الحسيني خطابه إلى زوجته الصابرة المرابطة، بأسلوب النداء الذي يحمل معاني التحبب والتعطف والتراحم، مستخدماً أداة النداء(يا) وهي "أم حروف النداء، وبها غالب الخطاب القرآني" (11، ص: 249) فيقول:

يا أم هيفاء اصبري وتجلّدي الله والوطن العزيز عناكِ

فهو بعد البيت الرابع يحاول الشاعر أن يصبر زوجته ويواسيها مبيناً مدى المعاناة والآلام التي تلاقيها من فراق زوجها الذي في كثير من الأحيان لا تعلم أحي هو أم ميت:

لا تعلمين أميّت بدمائه أم فيه أنفاسٌ بهن رجاكِ

أم هو جريح أو طريد:

ما بين آسية الجروح قضيته عيشاً وبين طريدة لعداكِ

ثم نجده يسجل في قصيدته هذه – وخلال الأبيات الموجهة لزوجته- مرتبة الجهاد العالية التي نالها في ميادين الجهاد فيقول:

قد نلتُ من شرف الجهاد مراتباً ما نالها رجل القتال الشاكي

ثم يدعوها إلى الصبر:

أعلاك صبرك فوق كل جليلة وعلى النجوم يطول أفق سماكِ

وفي هذا البيت إبراز إلى أهمية الصبر الذي تحلت به، وقد صور علو مرتبتها بسبب صبرها كمن طاولت النجوم في سمائها علواً ومكانة.

ويطلب منها أن تستمر في درب الصبر والمرابطة داعياً الله – عز وجل- أن يحفظها:

سيري وربكِ لا يريد بنا أذى إلا ورب البيت منه حماكِ

وهذا البيت فيه إظهار لثقة الشاعر العالية بنصر الله وحمايته، عائداً من خلال قوله (إلا ورب البيت منه حماك) إلى العمق التاريخي إلى قول عبد المطلب جد النبي عليه السلام: إن لهذا البيت رب يحميه.

ونجده يختم قصيدته معلناً أن هجرته الجهادية هي لله وفي سبيل الله، ومن أجل الله، وأن ما يتعرض له في طريق الجهاد هو من أجل مرضاة الله - عز وجل-.

ويكاد أسلوب الأمر يسيطر على هذه القصيدة كذلك، ومثل ذلك: (كفي، اصبري، تجلدي، سيري) وحاول الشاعر الشهيد من خلاله أن يوازن بين مشاعر الخوف والأمل نحو أهل بيته، وتوصيته لهم بالتجلد بالصبر في مواجهة العدو وجهاده.

إن هذه القصيدة تمثل مسيرة أي أسرة فلسطينية مجاهدة، فالأب يتنقل من مكان إلى مكان، مرابطاً ومجاهداً، وأسرته في ترقب وتوجس دائمين، في انتظار ما سيحل برب الأسرة المجاهد، وكأن الشاعر الشهيد الحسيني أراد أن يبين لسائر الأسر الفلسطينية، بأنكم مجاهدون ومرابطون، وما عليكم إلا الصبر والتحمل حتى يحين موعد النصر، وطرد المحتل الغاصب، فبمثل هذه الرؤية الاستشرافية سطر الشاعر قصيدته هذه وسائر قصائده.

ثم يلجأ الشاعر إلى قصيدة شعرية أخرى تلبس ثوباً شعرياً مخالفاً لسائر قصائده، وهو أسلوب التجريد والحوار، والذي نلمحه في القصيدة التالية والتي بعنوان (بين فلسطين وفتاها): (1، 443)

فلسطين:

لـــــون الزهـــــور القـــــاني ... شـــــــــقائق النعمـــــــــان
مـــــن حمـــــرة الـــــدماء ... تـــــروى بهـــــا كالمـــــاء
مـــــن أنفـــــس الأطيـــــاب
الطـــــلّ مـــــن دمـــــوعي ... يـــــذوب فـــــي الربيـــــع
يجـــــري علـــــى الـــــورود ... كالـــــدمع فـــــي الخـــــدود
نـــــدبا علـــــى الـــــشباب
أبـــــكي بنـــــيّ الـــــصيـدا ... والبطـــــــــل الـــــــــشهيدا
أبكـــــي ومـــــا مـــــن عـــــار ... أبكـــــي حمـــــاة الـــــدار
أبكـــــي ليـــــوث الغـــــاب

فتاها:

لا تحزنـــــــــي بـــــــــلادي صـــــــبراً علـــــى العـــــوادي
فالـــــــدهر فينـــــا قلّـــــب لا ينثـــــــــني يقلّـــــــــب

وجهـــــــين للنفـــــــاق

إن نابـــــــت النوائـــــــب أو عمّـــــــت المـــــــصائب
ألفيتنـــــــا الأماجـــــــد نعـــــــدو علـــــى الـــــشدائد

بـــــــالبيض والرقـــــــاق

نحميـــــــك بـــــــالمرهوف والـــــــضرب بالـــــــسيوف
نـــــشـــقّ هـــــام العـــــادي لا تحزنـــــــــي بـــــــــلادي

لا تـــــــدمعي المـــــــآقي

فلسطين:

قـــــد دنّـــــسوا ربـــــوعي فجـــــــدت بالـــــــدموع
إن تطلبـــــــوا رضـــــــائي فاســـــعوا إلـــــى علائـــــي

وطهـــــــروا أحـــــــضاني

بنـــــــيّ لا تهونـــــــوا أو للعـــــــدا تلينـــــــوا
أرضـــــــعتكم لبـــــــاني أوهبـــــــتكم حنـــــــاني

فـــــاحموا حمـــــي أوطـــــاني

فتاها:

لبيـــــك لـــــن نهونـــــا لبيـــــك لـــــن نلينـــــا
لبيـــــك بـــــالنفوس بالغـــــالي والنفـــــيس

بـــــالروح والـــــضلوع

لا عـــــشت يـــــا بـــــلادي إن عاشـــــت الأعـــــادي
ترتـــــاد فـــــي ربوعـــــك أقـــــلّ مـــــن دموعـــــك

فالشاعر يجعل الحوار بين فلسطين، بل كل فلسطين، أرضاً وشعباً ووطناً، وبين الطرف المقابل للحوار هو شخصية (فتاها) أي فتى فلسطين، وهذه الكلمة وإن عملت فيها الإضافة إلى الضمير التعريف، فإنها لا تنحصر بفتى معين، بل هي تعني كل فتى على ثرى فلسطين، ولا ينحصر ذلك بزمن معين، بل الزمن فيها مفتوح حتى يزول الاحتلال.

وإذا ما حاولنا التأمل في واقع فلسطين في المقطع الأول من القصيدة الذي ينتهي عند: لا تدمعي المآقي في السطر الثامن عشر، نجد الشاعر يحاول أن يصور فلسطين بصورة الزهور والورود، والطل والربيع، يعيش فيها الرجال الصيد والأبطال، ولكن هذه الصورة المشرقة لا يلبث الشاعر حتى يلونها بالألوان الحمراء الممزوجة بالدماء والدموع على الجرحى والشهداء، إنها لوحة دامية باكية دامعة، هذه هي الصورة التي حاولت فلسطين أن تتقدم بها لفتاها الواعد لها بالنصر والتحرير، فلذلك يجيء رد الفتى سريعاً، حيث ينهاها عن الحزن، ويدعوها إلى الصبر مهما عمت المصائب؛ لأن رجال الجهاد الأماجد يصمدون أمام الشدائد، ويدافعون عن وطنهم بحد السيوف التي تشق هام المعتدي، هذه هي صورة فتى فلسطين في اللوحة الأولى في المقطع الأول، صورة الرجل المجاهد المقاوم، وهي تتلاءم مع الصورة الحزنية التي رسمتها فلسطين له، والأسلوب الذي بدأه فتى فلسطين بداية رده كان أسلوب النهي المتبوع بفعل المضارع، الذي يفيد المستقبل والاستمرار، وكأن الشاعر يعاهد فلسطين بأن يبقى وفياً لها، مدافعاً عنها، ما دام المحتل على أرضها، وفي ذلك رسالة لشعب فلسطين وللعالمين العربي والإسلامي، يستشرف الشهيد عبد القادر من خلالها ما سيحدث على أرض فلسطين من جهاد ورباط، كل ذلك بعين بصيرة، ورأي نافذ.

وفي المقطع الثاني والأخير تتحدث فلسطين لفتاها،عما يقوم به المحتل من تدنيس للأرض والمقدسات، واعتداء على الشعب والممتلكات، وتطلب من فتاها أن يسارع لرفع الضيم الذي لحق بها، وتطهيرها من دنس المحتل، والسعي لرفعة مكانتها وعلو منزلتها، فهي الأرض المباركة التي أرضعتهم وربتهم ووهبتهم حنانها، فيرد فتاها عليها بنبرة الواثق بنصر الله، وعزيمته الصادقة، فيقول لها:

لبيك لن نهونا لبيك لن نليـنا

وجاء الشاعر بكلمة لبيك، وهي كلمة تتناسب في المعنى والدلالة، والموضع، في مكان القصيدة، وهي تعني أن تلبية النداء لفلسطين سيكون سريعاً ودائماً وفي كل زمان ومكان معلناً:

لا عشت يا بلادي إن عاشت الأعادي

ترتاد في ربوعك أقـــلّ من دمــوعــك

وفي الرد الحواري الأول عن (فتاها) "لا تحزني بلادي" يتناوب الخطاب بين النهي، وبين الشرط كما في قوله "إن نابت النوائب ... ألفيتنا"، وهذا التناوب فيه اتساق في دلالة الألفاظ (بين لا تحزني، والنوائب)، وما جاء بعدهما من دعوة للصبر، والتعهد بالحماية بالسيوف وجهاد الأعادي. وكذلك الأمر في الرد الحواري الثاني من (فلسطين) جاء الشرط "إن تطلبوا رضائي..." والنهي "لا تهونوا"، وفيهما تناسق دلالي حيث طلب الرضا يحتاج إلى سعي نحو العلا، وعدم التهاون يحتاج إلى الصمود في وجه العدا، ويلتقي كلاهما في أن الجهاد والصمود هو سعي للعلا وفيه إرضاء لفلسطين أرضاً ووطناً وشعباً.

وفي قصيدته (الطود الأشم) يقول: (1، ص: 444)

مــا أفتــر الخطــب الجـــلل ســود عــزمي ولا همي ثلم عــوّدتها بعــد
الوقــائع أُلفتــي ما كــنت أجهـــل النعـــم حتــى يعـــاودني النـــدم
مرّها إنـــي الــصبور علــى البلــى وكـــــأنني الطـــــود الأشـــــم
هـــــوج الريـــــاح تحطمـــــت والطـــود ثابـــت لـــم يـــضم
تزداد نفسي منعة يبلــى الجـــديدان ما حلّ خطب وادلهــم تبلــى العــزائم
ولا والهمم

نجد الشاعر الشهيد في هذه القصيدة يظهر عزمه وإصراره على الاستمرار في المقاومة والجهاد، حاضراً ومستقبلاً، وبأن المصائب والصعاب مهما عظمت ستجده ثابتاً بعزم لا يلين، فلذا يقول:

ما أفتر الخطب الجــلل عــزمي ولا همي ثلم

ويصور صبر نفسه على المصائب والشدائد كالجبل الأشم، الذي يصمد أمام عاتيات الدهر، فمهما تعاظمت هوج الرياح فلن تنال منه.

بل نجده يقرر بأن نفسه تزداد متعة وقوة كلما حل به خطب كقوله:

تزداد نفسي متعــة ما حل خطب وادلهم

وعزمه هذا وقوته وهمته العالية ستستمر أبد الدهر حتى ولو زال الليل والنهار سيبقى على ثباته وعزمه وإصراره في مقاومة المحتل والقضاء عليه حيث يقول:

يبلى الجديدان ولا تبلى العزائم والهمــم

لقد استخدم الشاعر في هذه القصيدة الأسلوب الخبري، وهو يعد "الجانب الوصفي أو التقريري من وظيفة اللغة" (9، 30)، وأسلوب الخبر في هذه القصيدة وإن تنوعت المعاني التي خرج إليها الخبر، إلا أنها في مجملها تشير إلى حقيقة أراد الشاعر إقرارها في نفس الشعب الفلسطيني وواقعه، حاضره ومستقبله، وهي أن اليهود بجبروتهم وطغيانهم، ومهما عظم خطبهم، سيواجهون طوداً أشماً، راسخاً كالجبال، لا تؤثر فيه سود الوقائع، ولا هوج الرياح، بل سيبقى أبد الدهر شعاره:

يبلى الجديدان ولا تبلى العزائم والهمم

بهذا النفَس القتالي، وبهذه الروح الجهادية، يسطر لنا الشاعر المجاهد عبد القادر الحسيني هذه القصائد الجهادية؛ لتكون مثل هذه الأشعار وقوداً يساعد في استمرار اشتعال جذوة الجهاد والقتال حتى إنهاء المحتل، وطرده من ثرى فلسطين المبارك.

ولا ينسى الشاعر أبناءه من وصية تعد من الوصايا الخالدة؛ لكرم المعاني التي احتوت عليها، ولصدق المشاعر التي اشتملت عليها؛ ولأنها تصلح لسائر أبناء فلسطين والعالم العربي والإسلامي، بل سائر أبناء البشرية، فالشاعر أجده قد وفق في اختيار معجمه اللفظي لهذه القصيدة، وفي اختيار المعاني التي تتناسب مع ما اختاره من ألفاظ دالة ومعبرة، وقصيدته هذه عنوانها (نصيحة والد) والتي جاء فيها:(1، 444)

بنيّ خذوا مني نصيحة والد كما ... عركتُ نواحي الدهرَ والدهرُ قلّبُ وإن
الدهر عبد للجلود فإنه لئيم إذا ... جمع الويلات بالحزم يغلب كريم
جسّ الطباع ضعيفه سلاح الفتى ... إذا يلقاه ناب ومخلب عفاف وبأس
طيب الخصال وعزه وخير سلاح ... في الشدائد يرهب تفوح جليل الذكر
للمصائب سمعة بنيّ كرام الناس ... أيان يذهب مآثرها تنسى ويذهب
بالشرّ تنقد ... مثلب
بني أقلوا ما استطعتم عثاركم أقيلوا ... فرب عثار للمكارم يسلب فذاك إلى
كرام الناس من عثراتهم ولا ترجعوا ... خطب المودة أقرب صنيع الفتى يبقى
صفر اليدين مؤملا ... إذا المال ينضب

يبدأ الشاعر قصيدته باستخدام أسلوب النداء المحذوف أداته، وقال "بني" ولم يقل أبنائي، لأن اللفظة الأولى تحمل معاني التحبب والتقرب والتودد، وفيها مدلولات نفسية تعبر عن صدق المشاعر أكثر من

كلمة "أبنائي"، ونجد الشاعر يكرر هذه المفردة عدة مرات في أثناء القصيدة، دليل أهميتها عنده ككلمة ذات مبنى، وذات معنى ومغزى، فهو الأب الرحيم الودود، الذي زاده الجهاد والبعد عن أهله حنيناً لأبنائه وشوقاً لأهله، كما علمته الحياة وما تعرض إليه، المزيد من التجارب؛ ولذا نجده يقدم خلاصة تجاربه، وعصارة فكره لأبنائه فيقول:

بنــيّ خذوا مني نــصــيحـــة والـــــد عركت نواحي الدهر والدهر قّلبُ

ويبين لهم أن الدهر لئيم مع الضعاف، كريم مع الأقوياء فيقول:

لئيم إذا جــسّ الطباع ضــعــيفـــه كــريم إذا يلقـــاه نــاب ومــخـــلــب

ثم يبين لبنيه أهم الخصال التي عليهم أن يتحلوا بها، والتي منها: العفاف والبأس عند الشدة، والسمعة الطيبة، وغيرها حيث يعد أن هذه الأخلاق هي خير سلاح للفتى في مواجهة الصعاب والحياة، فيقول:

سلاح الفتى طيب الخصال وعزه عفاف وبأس في الشــدائد يرهــب

وخــير ســلاح للمصائب سمـــعـــة تفــوح جليــل الذكـــر أيــان يذهــب

ويطلب بعد ذلك من بنيه أن يبتعدوا عن صغائر الأمور والتي تقلل من قيمتهم ومكانتهم، وأن يعمدوا إلى مساعدة الآخرين، وتقديم العون لمن تعثر من كرام الناس، حيث يقول:

بني أقلوا ما استطعــتم عثــاركـــم فــرب عــثـــار للمـــكـــارم يســـلـــب

أقيلوا كرام الناس من عثراتــهــم فـــذاك إلى خطــب المـــودة أقـــرب

فالشاعر في قصيدته الأخلاقية هذه يبين لسرايا المجاهدين أن قتال الأعداء وحده لا يكفي إذا لم يصاحبه خلق كريم، يسري بين الناس بأسلوب واعٍ، وبطريقة مدروسة، وأنه لا خير في جهاد لا خلق يصاحبه، في إشارة إلى خلق شعبنا المرابط الملتزم بدينه، المتجذر بأصالته في ترب أرضه المباركة، فهو بذلك يمهد الطريق للآباء لتربية أبنائهم على الخلق القويم الذي ترتكز عليه بندقية الجهاد، والجمع بينهما تمام الفعل المقاوم ما دام هناك أرض محتلة، ورباط معقود وجهاد قائم.

وللشاعر دور في النشيد، "نشيد العلى" حيث يقول فيه:(1، 445)

نحن في العـــلا اللازمة دونـنـا المـــلا
وسّعوا الخـطى وامتطوا العـلا
مـا لغـيـرنـا المجد قد حـلا
وارفعوا عـلـى أوجـهـا سـمـا
من سيـوفـنـا نـقـطر الدمـا
من أكـفّـنـا اللازمة الجود والنـدى

خـيـــرة البـــلاد مهبط الرشـاد
أرض يـعـــرب جنّـــة العـبـــاد
اللازمة

سهلها الجمـيل وعرها الجليل
ماؤها الفـــرات بلسـم العـلـيـل
اللازمة

نـحـن نـــبـتـهـــا نحـن جنـــدهـا
في لظى الوغى نحـــن أسـدها
اللازمة

اخـــطـأ الـهـــدى بـــادئ العـــدا
جـــــاء مـــــوردا منهـل الـــردى
اللازمة

دأبـنـــــا الســـلام ما بدا السـلام
أو عدا غشـــوم حـدّه الحـسـام
اللازمة

بأسـنا حـــديـــد مجـدنا عـتـيـد
نـــحـــن أمـــة للعـلا نـشـيـد
اللازمة

في هذا النشيد يحاول الشاعر أن يتحدث عن مجموعة من الأفكار، كلها تنطلق من مفهوم الجهاد والقتال، والمحافظة على الأرض والوطن، وقد قسم الشاعر نشيده إلى ثماني مجموعات (مقطوعات) شعرية، وإن اختلفت في موسيقا القافية، إلا أنها تتوحد أمام الهدف العام للأفكار التي انطلقت منها كما ذكرت.

وقد حاول الشاعر في نشيده هذا أن يستخدم ضمير جمع المتكلم المنفصل (نحن) والمتصل (نا)، ليدل على أن المسؤولية عامة وشاملة لكل أبناء فلسطين تجاه العدو الغاصب، وجاء الضمير (نحن) في البيت الأول من المجموعة الأولى:

نحن في العـــــلا دونـــنـــا المـــــلا

ثم تكرر في البيت الأول والثاني من المجموعة الخامسة:

نـــحـــن نـــــبـــتـــهـــــا نحـــن جنـــــدهـــا

في لظى الوغى نحـــــن أســـدها

ثم جاء في البيت الأخير من المجموعة الثامنة (الأخيرة):

نـــــحـــــــن أمـــــــــة للعـــلا نـــشـــــيـــد

وهذا الضمير المنفصل (نحن) تعانق تكراره مع تكرار مشابه له، وهو الضمير المتصل (نا)، الذي انتشر في المجموعة الأولى والخامسة والأخيرة، وهي نفس المجموعات التي انتشر فيها الضمير المنفصل (نحن)، وهذا يدل على الوعد والعهد بالدفاع عن فلسطين ورد كيد الأعادي، وكأن في هذين الضميرين حديث النفس مع النفس، بأن الالتزام بالتحرير ودحر المعتدي لازم ديني ووطني وعهد نفسي، يتعهد بذلك كل أبناء فلسطين، عهداً قاطعاً لا تراجع عنه.

ويلجأ الشاعر الشهيد إلى قضية بلاغية وهي ما يسمى (بظاهرة الالتفات) والالتفات هو "العدول عن كلام إلى غيره، أو هو الخروج عن كلام منتظم إلى غيره" (12، 152)، وأجده في المجموعة الأولى تحدث عن ضمير الجمع المتكلم المنفصل والمتصل، وفي الثانية تحدث على ضمير الجمع المخاطب المتصل، وفي الثالثة عن الضمير المستتر للمفردة الغائبة، وفي الرابعة تحدث عن ضمير الغائبة المفردة المؤنثة المتصل، وفي الخامسة كما في الأولى، وفي السادسة تحدث عن ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي السابعة بدأها بضمير الجمع المتكلم المتصل، ثم ضمير المفرد الغائب المذكر، وفي الثامنة كما في الأولى.

إن هذا التلون في الخطاب يدل على قضية بلاغية ودلالية لها أهميتها عند الشاعر، فهو الشاعر المجاهد الذي يعيش في وضع نفسي جهادي خاص، يترقب استشهاده، ويبحث عن عدوه، ويفكر بجنوده والمجاهدين أتباعه، كل ذلك لا بد أن يؤثر على الوضع النفسي للشاعر وعلى نمط الخطاب في القصيدة، فهو يريد أن يشمل الخطاب أكبر قدر من فئات هذا الشعب المجاهد، الحاضر والغائب، المذكر والمؤنث، الفردي والجمعي، فكلهم في رباط إلى يوم الدين، إلى جانب هذا التنوع فيه تشويق لنفس المتلقي؛ لأنها تخرجه من الرتابة والملل إلى النشاط والترقب، خاصة وأن القصيدة هي نشيد يسهل تلحينها والتغني بها.

في المقطوعة الأولى والثانية يدعو الشاعر فيهما إلى العلا والمجد والعمل من أجلهما، والحرص عليهما، وهما لا يأتيان بسهولة، بل من خلال السيوف التي تقطر من دماء الأعداء، وفي المقطوعة الثالثة والرابعة نجد الشاعر يتحدث عن أرض فلسطين، حيث سهلها الجميل، ووعرها الجليل، وماؤها الفرات العذب الذي يشفي العليل، ثم يقرر أن هذه الأرض الطيبة المباركة تحتاج إلى من يدافع عنها ويحميها، لذا فالشاعر وصحبه من المجاهدين، هم أسدها المقاومون والمدافعون عنها.

ويختم الشهيد أنشودته ليقرر بأن بأس أبنائها شديد وحديد، ومجدها عتيد دائم؛ لأن العدا إذا ما حاولوا الاقتراب منها، سيقاومون بحد الحسام.

هذه هي كلمات النشيد عند عبد القادر الحسيني، كلمات تنطق حرباً وقوة وشجاعة مستمرة في مقاومة المحتل إلى أن يندحر ويزول.

أما في قصيدته التالية والتي عنونت (صلابة الأقدام) فيقول: (1، 446)

أنا لا أرهب الحدثان إني لقد أعـــددت ... فتى أمضى من الحـــدثان حـــدا ولـــم
للحدثان سيفاً وإن أبدت لـــي الأيـــام ... أجعل لهذا السيف غمدا تراني للجـــلاد
عندا تريني مخلبـــا وترينـــي نابـــا ... أشدَّ عندا فتلقى معلما وأشـــد زنـــدا
ولي من قـــوة الإيمان عـــزم ولـــم ... أقاتل فيـــه دون الخلق فـــردا ولـــم
أستجد من دهري حظوظا ... أطلب بغير الجهد سعدا

يقرر الشاعر في قصيدته هذه مجموعة من الثوابت الجهادية، والتي ستستمر ما دام هناك محتل على أرض فلسطين، ومن هذه الثوابت التي ذكرها الشاعر: عدم الخوف من العدو، والإعداد الجيد للجهاد، والاستمرار في التأهب، والصبر عند المواجهة، والتحلي بالإيمان عند اللقاء، وقيمة الإنسان بما يقدم

من جهد، وهذه الثوابت التي تحدث عنها الشاعر، لا يعني بها نفسه وحدها، بل سائر أبناء فلسطين؛ لأنه هو قائدهم وقدوتهم، فهو شجاع لا يرهب تقلبات الدنيا، ولا يخاف من الأعداء؛ لأنه أقوى منهم؛ ولأنه أعد سيفاً قوياً بلا غمد للمواجهة، وقوله "ولم أجعل لهذا السيف غمداً" كناية أن هذا السيف هو في حالة إشهار دائم في وجه العدو، ولا مجال لإغماده طالما الاحتلال قائم، والعدو جاثم، والأرض المباركة مغتصبة.

بعد ذلك يقرر الشاعر المجاهد الشهيد، أنه يستمد قوته وجهاده وعنفوانه ومجده في مقارعة الأعداء المحتلين من قوة إيمانه فيقول:

ولي من قــوة الأيمان عزم أقاتل فيــه دون الخلق فردا

فبقوة الايمان يواجه مخالب الأعداء وأنيابهم ويكسرها ويتغلب عليها.

وقد جاءت هذه القصيدة بأسلوب إخباري تقريري، وقد حملها أساليب من النهي والنفي، مؤكداً من خلالهما على شجاعته وإقدامه وصلابته، وذلك كما ورد في أول بيتين وآخر بيتين من القصيدة.

ويجيش صدره بالحنان مرة أخرى، وتجتاح قلبه نسمات الحنين لفراخه الزغب، حيث هو مشغول بالدفاع عن فلسطين، وثرى القدس الطهور، فنجده في قصيدته (حنين) يسطر أنبل المشاعر وأصدقها، فيقول: (1، 446)

نسيم الغربِ أشجاني وذكّرني ربوع وأجرى دمع تحناني أوطاني وخلاني
القــدس وأيامــاً غــدت حلمــاً بأفراحٍ وأحزانِ همى من بين أجفــاني
تراءت خلف رقراق دمــوع الــشوق وفي الهيجا دمي القاني فأرض العُرْب
أجريهــا ومــا بــي غربــة شــقّت أوطــاني وفــي بغــداد إخــواني
ولي في القدس أترابٌ ولــي فــي فِدا الأكبــاد إنــساني إلــيهم نفــس
القدس أكبادٌ فراخي الزغب كم حنّت ولهــان... رســوما فــوق كتــان
فكــم قبّلــت مــن شــوق فزاد الرسم نيراني غــدوا والــروح
لعل الرسم يغنيني هــمُ الأولاد أكبــاد ســيان غــدت طيّــاً لنــسيان
هم ترداد أجيال وخلد قد بــدا حلمــا تراه عين يغظان خبــت مــن جــور
هم أقباس أنوار أزمان

رغم أن القصيدة سجل فيها الشاعر مشاعر فياضة من الحنين لأهله وأبنائه، إلا أننا نجد الشاعر لا ينسى فلسطين، ولا ينسى القدس، ولا بغداد، ولا سائر البلاد العربية، فكل بلاد العرب أوطان للعربي، والقدس جزء منها، فهو يعطي للقدس أبعاداً مكانية حين يربطها ببغداد، وأبعاداً وشائجية أخرى حين يكون أترابه في القدس، وإخوانه في بغداد، فكأن الكل من أجل القدس أولاً، وباقي العواصم ثانياً، فيقول:

وما بي غربة شــقّـــــت فأرض العُرْب أوطاني

ولي في القدس أترابٌ وفي بــغـــداد إخـــوانـــي

وهنا يومئ الشاعر إلى المسؤولية الكبرى التي تقع على عاتق العرب والمسلمين نحو القدس وتحريرها.

وبعد أن يتحدث عن القدس وفلسطين ومكانتها بالنسبة لشعب فلسطين وسائر البلاد العربية، يتحدث عن حنينه وشوقه لفراخه الزغب، وإن مزج الشاعر الشهيد حديثه عن حنينه لأطفاله وحبه وشوقه إليهم بحديثه عن القدس، فإن فيه دلالة على عمق المشاعر عند الشهيد نحو القدس، فقد جعلها الشاعر بمقام أبنائه وأسرته، وأنها المنطلق نحو كل شيء في حياته.

لقد شبه الشاعر أطفاله الصغار كفراخ الطير الزغب الصغار، يحن إليهم، ويشتاق إلى تقبيلهم، وإن كان أحياناً يقبل صوراً لهم يحتفظ بها في مسيرته الجهادية، لكن هذا الرسم يزيد من نيران شوقه وحنينه لرؤيتهم؛ ولذا يقول:

فكم قبّـــلـــت من شــوق رسومــاً فــوق كـــتـــــان

لعــل الرســم يغــنيـنـــــي فـــزاد الــرسم نــيرانـــي

وفي حنينه هذا وتذكره لأبنائه، دليل على الآلام التي كان يعاني منها المجاهد عبد القادر الحسيني، فهو رغم شدة القتال، وضراوة المواجهة للمحتل، إلا أنه يتذكر فلذات الأكباد، الأطفال الصغار وهم أقباس الأنوار، التي ستحمل راية الجهاد جيلاً بعد جيل حتى يزول الاحتلال زوالاً تاماً. وكأن الشاعر في هذه الأبيات يريد من المجاهدين، ومن أبناء فلسطين أن يهتموا بأبنائهم وحسن تربيتهم؛ لأنهم هم حملة مشاعل الجهاد للأجيال القادمة بإذن الله.

ونجد في القصيدة تنوعاً في الخطاب والموضوع والأسلوب: ففي الخطاب يؤكد على ظاهرة الالتفات البلاغية في هذه القصيدة بشكل لافت، وتبدو خارطة الالتفات كما وردت مرتبة حسب ترتيب القصيدة كما يلي:

(هو) – (أنا) – (هي) – (هي، أنا) – (هي، أنا) – (أنا، هي، أنا) – (هم، أنا) – (أنا، هي، هم، هو) – (هي) – (هو، أنا) – (هم) – (هم) – (هو، هي) – (هم، هي).

وهذا التنوع في الخطاب نتج عن التنوع في الموضوع، فالشاعر تحدث عن النسيم والحنان، ثم عن القدس والأوطان، وهموم الجهاد، ثم دموع الشوق المصاحب للدم القاني في الهيجاء، ثم دور الأبناء في بناء أجيال الجهاد في المستقبل. ويأتي التنوع الآخر في الأسلوب حيث راوح الشاعر بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، كل ذلك ليعمل هذا التنوع بأشكاله المختلفة من هذه القصيدة الشعرية نموذجاً من التلاحم بين الدلالة والمعنى، وبين الخطاب والموضوع والأسلوب. كل ذلك مشفوعاً بالتكرار للفكرة التي تلح على الشاعر، ألا وهي القدس التي تربعت على قلبه، وسلبت لبّه، فغدت حبيبته التي لا ينفك يرددها في هذه القصيدة، وباقي القصائد، فيقول:

ولي في القدس أتــرابٌ وفي بغداد إخواني

ولي في القــدس أكــبــادٌ فِدا الأكباد إنســاتي

وفي هذا التكرار دلالة على أهمية القدس، في وجدانه ووجدان كل عربي، فلئن كان في القدس أهله وأترابه، ففي بغداد وسائر البلاد العربية إخوته. وأجد الشاعر الشهيد في قصيدته هذه وسائر قصائده يركز على التكرار، ولعله في ذلك يكون قد أفاد من التكرار في الأغاني الشعبية كما يقول مناصرة: "حيث استفاد الشعر العربي الحديث من خاصية التكرار الإيقاعي في الأغاني الشعبية" (15، 440).

وبقي للشهيد ثلاث قصائد، الأولى في وصف رحلة قطار حيث يقول في مطلعها: (1، 447)

ركبت قطاراً سار بنا إلى بغداد وقد بعدت

والثانية في مدح رشيد عالي الكيلاني حيث يقول فيها: (نفسه)

رشيد العروبة عالي الهمم فذكراك فــي سموت بقومك فــوق الأمــم يثيــر

كل قلب غدا فأنت الرشيد مهاب الجناب النفوس ويحيي الهمم وأنــت الكــريم

يحُييك أسد العراق ومن رعاك الإله ليوم سليل الكرم وراء العراق وخلف الهرم

أغرٌ ليوم تدفق فيه الدما ليوم الــسيوف ليوم العروبة يوم الــشمم تهــون

ويوم القنا رعاك الإلــه وهــان عــداك النفوس فداء العلم ليوم تبدد فيه الظلم
وعشنا نفاخر فيك الأمم

والشاعر في هذه القصيدة يمدح القائد الثائر ضد الاستعمار "رشيد الكيلاني"، وهو إن يمدحه كأنه يمدح العراق، والشاعر الشهيد بمدحه هذا يذكر بقوة وشجاعة أهل العراق، داعياً الله أن يحفظه ويرعى العراق؛ من أجل يوم يعملون على إعزاز العروبة والإسلام، ويزال فيه الظلم والظالم فنراه يقول:

رعــاك الإلــه ليــوم أغــــرٍّ ليوم العروبة يوم الشمم

ويقول:

ليوم السيوف ويوم القنا ليــوم تــــبــدد فيه الظــــلــم

والقصيدة الثالثة يمدح فيها الملك عبد العزيز آل سعود إذ يقول في مقدمتها: (نفسه، 447-448)

المجد مِنْ عادٍ بدا والســعد في آل الســعودِ إرثٌ توارثــه
البنــون عن الخضارمة الجدودِ فغــدوا كأنهــم الثــواقب
زينّت بــرج الخلودِ وهم الملاذ لمن يضيق بوجههم رحب
الوجودِ لا يخفــرون ولا تنال جــوارهم عثر الجــدودِ

وهذه القصيدة تعد من أطول قصائده إذ بلغت (38) بيتاً. حاول فيها الشاعر الشهيد أن يستنهض زعماء العرب وشعوبهم من خلال هذه القصيدة؛ لأنه أراد أن يبعث فيهم النخوة والعزة، والتحرك من أجل الجهاد في القدس وفلسطين، وتحريرها من الغاصب المحتل.

وبعد مقدمة مدحية مدح فيه الملك عبد العزيز آل سعود، مذكراً فيها بما عليهم من مسؤوليات تجاه وطنهم ودينهم والعالم الإسلامي، يبدأ الشاعر الشهيد بعدها وفي البيت التاسع يذكر القدس وأين صارت فيقول:

القدس أولى القبــلتــــيـــــن عـــدا بـــها سبـــط اليهـــود

ويذكّر الملك أين أصبح ثالث الحرمين فيقول:

يــا حــامــي الــحــرمـــــيـــــن ثالثهما غدا رهن الوعـــود

ويحاول الشهيد أن يبعث الهمة، ويستنهض النخوة عند الملك نحو القدس لعله يعمل من أجل تحريرها من دنس اليهود فيقول:

يا وارثاً عرش الرســـــــول اضرب بسـيف ابن الولـــيـد

وارفـــع دعـــامة جـــلـــــــق وانهض بأعـــباء الرشـيـــد

ثم يعود الشاعر الشهيد ليوجه خطابه إلى أمة العرب والإسلام، لعله يحرك فيها مشاعر العزة والنصرة للأرض المغتصبة فيقول:

يا أمة الـعـرب انـهـضـــــي سيري لمجـدك أو تـبيـــدي

المـجـد نسـج نـضـــــالـنـــا عيـــدي نســـائـــجها وزيدي

وبعدها يوجه الخطاب للملك عبد العزيز ويذكره بمكانة القدس ومسجدها:

إن ديس مسجدها تـــداس بـــكـــــل واد أو صـــعـــيـــــد

ويقول:

فالمسجد الأقـصـــى عـــــلا مـحـرابـه دنـس اليـــهـــود

ويذكره أخيراً بأعراض نساء فلسطين ورجالها ودماء الشهداء، ويطلب منه غوثهم ونجدتهم:

فالعرض عرضك والنساء ورجـــالـــها ودم الشـهـــيـــد

إن الشاعر الشهيد الذي عبر عن واقعه وواقع وطنه وقضيته أصدق تعبير، نجده في هذه القصيدة يستشرف المستقبل وينظر إليه بنظرات صائبة لأنها تصدر عن رجل صادق مجاهد، عاش تجربة الإيمان والجهاد، فها هو يحذر الملك أن يؤول المسجد الأقصى بيد اليهود، وقد تم ذلك فيما بعد:

يـا حـــامي الحـــرمـــيـــــن ثالثهما غدا رهن اليهـــود

فها هو المسجد الأقصى يرزح تحت نير عصابات الصهاينة، يدنسونه تارة، ويحاولون هدمه أحياناً، ويمنعون المصلين من دخوله أحياناً أخرى. وعندما يداس المسجد الأقصى ويدنس، فكأنما يداس كل العرب والمسلمين في كل مكان، وهذا ما تنبأ به الشاعر الشهيد:

إن ديس مسجدها تـــداس بـــكـــــل واد أو صـــعـــيـــــد

هذه بعض استشرافات وإشراقات المستقبل عند الشاعر الشهيد؛ ليقول في قصيدته قبل الختام حكمة يصور فيها الواقع العربي والإسلامي والمستقبل الذي سيؤول إليه:

والســـيـــل إن بـــلـغ انـــحـــدا را لا يـــقـــيـــد بالـــحـــــدود

ثانياً: في ترسل الشهيد عبد القادر الحسيني

الرسالة فن نثري يلجأ إليه صاحبه عند الحاجة إليه، ليعبر عن موقف، أو ليسجل حدثاً، أو ليدون ملحوظات حياته، أو ليكتب بعض مشاعره وإحساساته، و"الترسل مصطلح أدبي، يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية، أو إخوانية، أو أدبية، ..." (14، ص: 11).

وكانت رسائل الشهيد في أنواعها المختلفة تعبر في أغلبها عن همومه نحو قضيته وقضية المسلمين جميعاً، ألا وهي قضية فلسطين والمحتل اليهودي، فلذلك كانت رسائله تأتي عبر نسمات الجهاد على أرض الوطن، يبعث بهمومه إلى القادة العرب، والمسؤولين ولو كانوا من ذوي القربى يستنجدهم، ويطلب منهم العون والمساعدة، أو يرسل بتوجيهاته العسكرية إلى جنوده بوصفه القائد العسكري لهم، وأحياناً وفي بعض اللحظات تداعب خياله ذكرى أهله، زوجته وأولاده فيبعث لهم برسائل الشوق والحنين، رغم ما فيه من قتال وحرب، بين أزيز الرصاص وقرع القنابل، ولكنه يبقى الأب المجاهد، الذي لا ينسى زوجته وأبناءه، من كلمات فيها حنين، وفيها وصايا ترسم لهم بعض ملامح طريق المستقبل.

وسأتناول ترسله من خلال المحاور الآتية:

*** أولاً: محور الرسائل العائلية:**

- رسالته الأولى إلى زوجته وجيهة بتاريخ 1947/12/27م (أنظر 1، ص: 461). أخبر فيها عن مدى الرعب الذي يشعر به اليهود منه كلما اقترب من أماكن تواجدهم وها هو يقول: "أنا الآن بقرية صوريف، وقربي مستعمرة اسمها كفار عتصيون، وقد جن جنون اليهود لما علموا أني أتيت إلى قربها ... وهم خائفون ومرتعبون..." ثم يطمئنها فيقول: "صحتي جيدة، والحمد لله، وسلاحي كثير، ورجالي أكثر، وعتادي طيب، كيف صحتك، وصحة الأولاد، سلامي لكم جميعاً".
- وفي رسالة ثانية لزوجته، والمؤرخة بتاريخ 1948/1/4م (أنظر نفسه): يتحدث فيها الشهيد – بعد أن يطمئن زوجته عن صحته- عن جهاده فيقول: "لقد أصبحت القدس الآن الجبهة الأولى، شباب حي الشيخ جراح أسود، وكذلك شباب كل القدس، بارك الله فيهم، سنبدأ هجومنا الحقيقي بعد عشرة أيام على أكثر تقدير، وربما بدأنا قبل ذلك إذا وصلتنا الذخائر". وكان يستخدم منزله مخزناً

للسلاح؛ فلذا يقول في آخر رسالته هذه: "يوجد بعض الذخيرة عندك في البيت، الرجاء إرسالها مع عبد الله".

- وتأتي رسالته الثالثة إلى زوجته بتاريخ 1948/2/12م (أنظر 1، ص: 462) يطمئن أهله في هذه الرسالة عن الوضع العسكري فيقول: "حراسنا في الشيخ جراح الآن يحتلون سان هدريا وبيت إسرائيل، أعمالنا الحربية أثرت في اليهود أثراً عميقاً، كما أنها قوّت معنويات العرب. هذه الليلة سنقوم بعمل باهر وإن شاء الله ينجح، وسيكون له أثر عميق".
- وفي رسالته الرابعة لزوجته "أم موسى" والمؤرخة بتاريخ 1948/3/14م. (أنظر نفسه). يتحدث عن تعبه وسهره وجهاده وانشغاله فيقول: "إنني أشتغل الليل والنهار، ففي النهار أقوم بالأعمال الإدارية، وأثناء الليل أقوم بترتيب الخطط العسكرية...، لقد كان هذا الشهر مليئاً بالانتصارات والحوادث الجسام، وأرجو من الله أن تستمر إلى أن ننال النصر الأخير الحاسم، ونرفع عرق الزيتون الأخضر الذي رأيته بالمنام". فهو في هذه الرسالة يتحدث عن الواقع حيث الحوادث، والأعمال والخطط العسكرية، ويتحدث عن المستقبل بأن يتم النصر الأخير الحاسم ويرفع عرق الزيتون...
- أما رسالته الأخيرة فهي مؤرخة بتاريخ 1948/4/2م. أي قبل استشهاده بستة أيام. (أنظر 1، 463) فقد جاءت كما يلي:

"أعزائي: هيفاء، وموسى، وفيصل، وغازي:

قبلات حارة لكم جميعاً، كيف أحوالكم، لماذا لا تكتبون لي، أرجو أن تكونوا متحابين وأولاداً طيبين، لا تعذبوا أمكم، كما أني أرجو أن تكونوا مجتهدين بدروسكم، وإذا نجحتم بالمدرسة فسأشتري لكم بنادق ومسدسات حقيقية لتقتلوا بها اليهود، وسأشتري لهيفاء أدوات إسعاف لتضمد جراح المجاهدين، سوف أراكم قريباً... الله يرضى عليكم"

أبوكم المحب

التوقيع

هذه الرسالة الأخيرة للشهيد قبل أن ترتقي روحه الطاهرة إلى بارئها، رسالة شوق وحنين ومحبة لأهله، يضمنها خططه المستقبلية لأولاده، كيف يريدهم؟ يريدهم أن يحملوا السلاح من أجل القتال والجهاد، وأن تشترك ابنته أيضاً في أعمال الجهاد التي تليق بها.

هذه رسائله لأهل بيته، تحدث من خلالها عن واقعه وجهاده، وعن حنينه وشوقه، وعن أمله ومستقبله ومستقبل أولاده الجهادي، هذه الكلمات الصادقة التي صدرت عن القائد العسكري المجاهد الشهيد في الأشهر والأيام الأخيرة من حياته الجهادية.

** ومن رسائله العائلية ما كتبه لعمه سماحة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني، حيث كان مما قاله فيها: (1، 459)

"فقد سررت برسالتكم أعظم سرور، وكانت لي أعظم مشجع، تذكرون تقديركم لتحملنا مشاق الغربة والسجون، وهذا التقدير هو وسام عظيم الشأن أناله من زعيمي وقائدي..." وفي آخرها يقول: "تطلبون مني أن أكتب إليكم بما أود أن أقول، ولي ما أقوله، إلا أني بانتظار أوامركم، وستجدونني دائماً ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته، ومبادئه، دون أن يكلف الناس بسماع أنات نزاعه، وكذلك زوجتي، وسوف يكون كذلك أولادي إن شاء الله تعالى". هذه الرسالة مؤرخة بتاريخ 14 ربيع الأول من سنة 1365هـ، يبدو أنها كانت رداً على رسالة تلقاها من عمه سماحة المفتي، وفيها يظهر شكره وتقديره لعمه على هذه الرسالة، وأثرها في نفسه، وينهي هذه الرسالة بتعهده أن يكون ذلك الجندي الوفي لقائده ووطنه وأمته ومبادئه، وبنظرة للمستقبل يرى أن تكون زوجته وأفراد أسرته يسيرون على نفس الخط الجهادي الذي رسمه الشهيد عبد القادر الحسيني وسار عليه وطبقه على نفسه، فهو الشهيد المجاهد في ميادين القتال ضد الصهاينة المحتلين، والذي ما فتئ يقاتل ويجاهد حتى نال الشهادة التي طالما تمناها.

ثانياً: أما النوع الآخر من رسائله فهو عبارة عن بعض الرسائل العسكرية (أنظر 1، 464-465) ومنها:

- **الرسالة الأولى بعث بها الشهيد إلى المفتي محمد أمين الحسيني وهي مؤرخة بتاريخ 1947/12/24م ومما جاء فيها:**

وصلت البلاد منذ يومين وبدأت اتصلاتي وقمت بما يأتي:

1. ترتيب حرس قوي للقيادة.
2. ترتيب قناصة حول المستعمرات.
3. تنظيم الدفاع في القدس والقرى وترتيب الحرس الليلي.

- الرسالة الثانية وتاريخها 1948/1/1 قال فيها:

تسلمنا خطابكم الأخير وسنعمل حسب توصياتكم القيمة.

ثم أوجز الأعمال اتي قام بها فقال:

1. أصبح دفاع القدس حسناً، وقد تحول في بعض الأحيان إلى هجوم قوي معاكس.
2. رأينا أن الهجوم من داخل القدس لا بد منه، لتقوية المعنويات ولإزالة بعض النقاط الخطرة، مثل مستشفى الأمراض العقلية في الشيخ جراح ومستشفى هداسا والجامعة العبرية، إذ يكمن الخطر فيها على الاتصال بالمدينة من الشمال والشرق.
3. سنقوم بهجوم هائل لا بد منه، حالما تصلنا الذخائر والمتفجرات، وسنتخذ قضاء رام الله مركزاً للحشد وعمليات الهجوم وقد انتقلنا إليه بالفعل.
4. نحن على اتصال بجميع المناطق ومع الأخ أبو علي (حسن سلامة) ونتخذ الإجراءات السريعة لتقوية الأسس التي أوجدناها في مختلف الأنحاء.
5. المعنويات قوية جداً، وخاصة في المناطق التي حدثت فيها اشتباكات بين العرب واليهود.

§ الرسالة الثالثة مؤرخة في 1948/1/4م

"... إن اليهود ينقلون قواتهم من كل مكان إلى القدس وإن خسائر الهاجاناة جسيمة جداً، ونحن نحاول قطع جميع طرق المواصلات اليهودية المؤدية إلى القدس، وننتقل من مكان إلى آخر حسب الظروف، ونتصل بالرجال المسؤولين. الإعداد نظام ثابت. وتركيز المسؤوليات في مختلف المناطق وما زال هجومنا دفاعياً، لرفع المعنويات وإزالة بعض نقاط يهودية خطرة، لا بد من إزالتها لتسهيل مهمة الدفاع..."

§ الرسالة الرابعة ردا على رسالة من سماحة المفتي: ومما جاء فيها:

1. ... قد أكملنا الأسس اللازمة لتنظيم قرية لفتا والقرى المجاورة لها، وقد عينا السيد يحيى حمودة مسؤولاً عنها.
2. نحن مهتمون جداً بمنطقة عين كارم وسننتقل إليها في القريب العاجل.
3. إن مسألة تأمين الدفاع عن القدس والقرى المحيطة بها هي شغلنا الشاغل وقد قطعنا شوطاً في هذا السبيل.
4. نحن يقظون وحذرون ونحاول الاستفادة من مجهود كل فرد في سبيل المصلحة العامة.
5. نحتاج إلى ميزانية لا تقل عن أربعة آلاف جنيه شهرياً. فالرجاء تزويدنا بها.
6. وصلنا عريف اللاسلكي وسيبدأ أعماله.

§ الرسالة الخامسة وتاريخها 1948/1/12م ومما جاء فيها:

1. أنا مهتم جداً بدفاع القدس، وقد أصبح قوياً والقدس الآن ساحة حربية، وأرفق لكم ما كتبته الصحف اليوم، لتروا مقدار قوتنا الدفاعية والهجومية في حي الشيخ جراح وبيت صفافا وغيرها.
2. أرسلوا إلينا ما لا يقل عن ستة آلاف جنيه شهرياً، لنقوم بجميع الأعمال في القدس وغيرها ما عدا الشمال.
3. نحن بحاجة ماسة إلى السلاح وأكثر حاجة إلى الذخائر.

وقد جاءت رسائل الشهيد العسكرية ترجمة للواقع اليومي الذي يعيشه في حياته الجهادية، ففي رسالته الأولى يتحدث عن ترتيب القنص حول المستعمرات، وتنظيم الدفاع حول القدس والقرى، وفي رسالته الثانية يتحدث الشهيد عن خطط الهجوم عنده داخل القدس لإزالة بعض النقاط الخطرة، وبأن المعنويات عالية، وفي الثالثة يصف المجاهد الشهيد تنقلات اليهود وقواتهم إلى القدس، وأن خسائر الهاجاناة جسيمة جداً، ومثل ذلك في بقية الرسائل تقريباً، يصف الحال، ويخطط للواقع والمستقبل، وهمه الوحيد إنقاذ القدس وسائر فلسطين من اليهود المحتلين.

وبشكل عام لا نكاد نجد لمسات فنية أو بلاغية واضحة في رسائله، لعل ذلك بسبب ضيق الوقت الذي يعيشه المجاهد الشهيد، فلا وقت لديه للتجبير والتنميق، فالمهم عنده أن ينقل الواقع الذي يعيشه إلى أهله أو إلى جنده أو إلى المسؤولين، حتى يطمئنهم على سير الأمور عنده، أو يعبر عن مشاعر تفيض من إحساسه المرهف نحو أهله وأبنائه أحياناً. والأمر الآخر هو أن طبيعة هذا النوع من الرسائل العسكرية، يجب أن يكون بنفس الأسلوب الذي صاغه الشاعر الشهيد؛ لأنها هي بمثابة رسائل مختصرة، أو برقيات خاطفة، تنقل أخبار الجهاد والمعارك إلى الجهات المرسلة إليها.

حتى إننا في رسائله العائلية لا نجد التحبير والتنميق فيها، وذلك لنفس السبب؛ لأن الشاعر الشهيد رحمه الله في وضع الجندي المحارب، والقائد الساهر على جنوده، والمجاهد والمناضل، فلا وقت لديه لكتابة الرسائل الأدبية المحبرة،فالمهم عنده التحدث عن حاله وواقعه، وطمأنة الجهة المرسلة إليها رسائله.

الهوامش

1. محسن، عيسى خليل، 1986، فلسطين وابنها البار عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط1.
2. حوراني، فيصل، 2003، جذور الرفض الفلسطيني 1918 – 1948 م، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية، رام الله.
3. الزركلي، خير الدين، 1980، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، ط5.
4. قاسم، خيرية، 1990، الموسوعة الفلسطينية، م5، ط1، بيروت.
5. الحوت، بيان نويهض، 1986، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ط3.
6. الأحمد، نجيب، 1985، فلسطين تأريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
7. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، 1939، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج2، (د.ط).
8. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 1973، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج2، د.ط.
9. العلي، فيصل حسين طحيمر، 1995، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
10. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1988، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1.
11. بديوي، يوسف علي، (وزميله)، 1993، المستشار في القواعد والإعراب، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1.
12. عثمان، أسامة عبد المالك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
13. الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز، صحح أصله الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.

14. العلي، فيصل حسين طحيمر، 2001، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

15. المناصرة، عز الدين، 2007، علم الشعريات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد، 1939، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ج2، (د.ط).
2. الأحمد، نجيب، 1985، فلسطين تأريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
3. بديوي، يوسف علي، (وزميله)، 1993، المستشار في القواعد والإعراب، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1.
4. الجرجاني، عبد القاهر، (د.ت)، دلائل الإعجاز، صحح أصله الشيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.
5. الحوت، بيان نويهض، 1986، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917 – 1948، دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، ط3.
6. حوراني، فيصل، 2003، جذور الرفض الفلسطيني 1918 – 1948 م، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية، رام الله.
7. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، 1988، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1.
8. الزركلي، خير الدين، 1980، الأعلام، ج 4، دار العلم للملايين، ط5.
9. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، 1973، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ج2، د.ط.
10. عثمان، أسامة عبد المالك إبراهيم، 2001، ظواهر أسلوبية وفنية في سورة مريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

11. العلي، فيصل حسين طحيمر، 1995، البلاغة الميسرة في المعاني والبيان والبديع، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

12. العلي، فيصل حسين طحيمر، 2001، فن الترسل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

13. قاسم، خيرية، 1990، الموسوعة الفلسطينية، م5، ط1، بيروت.

14. محسن، عيسى خليل، 1986، فلسطين وابنها البار عبد القادر الحسيني، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، الأردن، ط1.

15. المناصرة، عز الدين، 2007، علم الشعريات، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.